اهل البيان الى التغضير في تقرير الاية على مرادهم واخذ يستدرك عليهم معنى غريبا لم يتنبهوا له بزعمه فخبط عشوا ولا امترا في ان كلام اهل البديع في غاية الحسن فان الايتين اشتملتا على مقابلة اربعة باربعة قوبل اعطى ببخل وقوبل اتقى باستغنى لان المراد انه زهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتق او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق فيكون الاستغنا مستلزما لعدم الاتقا المقابل للاتقا وقوبل صدق بكذب وقوبل اليسرى بالعسرى وهذا بين وكان الصفدي خفي عنه ان معنى اليسرى المصرح بها في الاية الاولى مقابل لمعنى العسرى المصرح بها في الاية الثانية فاراد ان يجعل المقابلة بين قوله فسنيسره الاول والثاني فتمحل بان جعل معنى قوله فسنيسره لليسرى فنعسره وهو تاويل ركيك لا يليق حمل الاية عليه مع وجود ما هو صريح في المقابلة غني عن هذه التكلفات البعيدة قال عند انشاده قول شرف الدين الحلاوي ؛

وبدت نظاير ثغره في قرطه ؛ فتشابها فتخالفني فاشكلا ؛

فرايت تحت البدر سالفة الطلا ؛ ورايت فوق الدر مسكرة الطلا ؛

قلت لو اتفق ان يقول سلافة الطلا لكان احسن ولكن هذا من الجناس المعنوي لانه اراد ذكره فلم يساعده الوزن فعدل الى ما رادف ذلك المعنى وهذا النوع استدركه المتاخرون وهو عندي باطل لان هذا الباب اذا فتحناه كان غالب الشعر جناسا معنويا اقول لو فهم الجناس المعنوي ما هو لما الزم بهذا الالزام وذلك لان الجناس المعنوي هو المكنى فيه عن احدى الكلمتين المتجانستين ويسمى تجنيس الكناية كقول بعضهم ؛

اني احبك حبا لو تضمنه ؛ سلمى سميك ذل الشاهق الراسي ؛

فدل بقوله سميك على ان اسم المخاطب سلمى فجانس بينه وبين سلمى الذي هو احد جبلي طي وكذلك قول الاخر ؛

وتحت البراقع مقلوبها ؛ تدب على ورد خد ندي ؛

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع ولا شك ان بين اللفظ المصرح به والمكني عنه تجانسا وقول بعضهم

اعلمت بعدك وقفتي بالاجرع ؛ ورضى طلولك عن دموع الهمع ؛

مطرت غضا في منزليك نداويا ؛ في اربع ومؤججا في اضلعي ؛

وكذلك قول الاخر يهجو مغنيا ثقيلا ؛

قال غنيت ثقيلا ؛ قلت قد غنيت نفسك ؛

فاذا تقرر ذلك علمت انه ليس في بيت الحلاوي جناس معنوي وانه اذا فتح باب هذا النوع من البديع لا يكون غالب الشعر جناسا معنويا بل وقوع هذا النوع بالتفسير المذكور قليل الوجود في الشعر قال ما احسن قول شمس الدين محمد التلمساني منقولا من خطه ؛

فكم يتجافى خصره وهو ناحل ؛ فلم يتجالى ريقه وهو بارد ؛

وكم يدعي صونا وهذي جفونه ؛ نفترتها للعاشقين تواعد ؛

قلت هذا هو السحر الحلال الذي يلعب بالعقول ويدع الاعجاب بحسنه يقوم ويقول انتهى كلامه اقول اطنب رحمه الله في استحسان هذين البيتين وهما جديران بذلك الا ان الشطر الثاني من البيت الاول فيه بعد ق ذلك انه ان قصد التورية بما يقال في العرف فلان يتحالى اذا اظهر حلاوة الشمايل وكان على خلاف ذلك ولعمري ان له اوجها في العربية وبما يقال ايضا في عرف التخاطب من ان فلانا باردا اذا كان سمج الحركات خارجا عن الاعتدال في الاخلاق مباينا لاهل اللطافة فهذا المعنى وان امكنت التورية به في الجملة غير مناسب في مقام الغزل وان لم يقصد ذلك

Copyright © King Saud University